أمواتاً أم أحياء

(أفسس ٢:١-٧)

تأليف: جو شوبيرت

في سنة ١٩٧٤ استطاع رجل متهور اسمه ايڤل نيڤل ببراعة إقناع آلاف من الناس بانه يستطيع أن يقفز بنجاح عبر وادي نهر سناك بولاية ايداهو الأمريكية على ظهر دراجة بخارية ذات قوة صاروخية دافعة. اشترى على ما يقارب ٢٠،٠٠٠ من الناس التذاكر ليروا الحدث بانفسهم. واشترى أكثر من ١،٠٠٠،٠٠٠ آخرين التذاكر ليشاهدوا الحدث بالتصوير المكبر على الهواء على شاشات السينما عبر البلاد.

فشل نيڤل في القفز عبر الوادي. تم اطلاق المظلة التي كانت على «الدراجة الهوائية» قبل آوانها، أي بعد إبتداء القفز مباشر. وسقط رجل البراعة ودراجته البخارية في المنحدر.

ولكن نيڤل استطاع أن يقطع مسافة طويلة عبر الوادي أكثر مما يستطيع أي منا لو حاولنا قيادة سيارتنا فوق قمة عالية بسرعة هائلة ونقفز عبر الوادي، بعض السيارت قد تقطع مسافة أطول مما تقطعها سيارتي، ولكن لا تستطيع ولا سيارة واحدة أن تقفز بنجاح عبر الوادي. ستتحطم جميعها.

يختلف الناس عندما يتعلق الأمر بالحياة التي نعيش. إن قمنا بمقارنة شخص بشخص آخر، قد يفعل شخص واحد ما هو جيد في أكثر الأحوال وإلى حد أعظم مما يفعله الشخص المجاور. ولكن بالمقارنة مع الله القدوس، فكل الناس يفتقرون إلى الصلاح. ليس ولا شخصاً وحداً يستطيع القفز عبر الوادي الذي يفصل الإنسان الخاطي عن الله القدوس.

الشخص غير الأناني والمعتني والموهوب جداً الذي عاش على الاطلاق يحتاج إلى قوة الله للخلاص بقدر ما يحتاج إليها أدولف هيتلر. بالمقارنة، ليس حياة الخطاة على مستوى واحد من الخطية، ولكن كلهم منفصلون عن الله وكلهم أموات في الخطية.

ليس هناك خاطي أحسن حالة روحياً من أي خاطي آخر. بدون قوة الله للخلاص لا يوجد واحد منا أقرب إلى الله من السكير أو متعاطي المخدرات، أو الزاني. عندما تكونون أمواتاً في خطاياكم، فأنتم أمواتاً حقاً.

الخبر السار هو أن قوة الله قادرة أن تفعل لك ما فعلته للمسيح. قوة الله تقيم الموتى؛ أفسس ٢:١-٧ يثبت هذه الحقيقة: أعلن الله قوته العظيمة بإستعادة الخطاة من الموت إلى الحياة بيسوع الميسح.

يصف الله حالة الخطاة بدون قوة الله

كلم بولس المسيحيين في أفسس قائلاً:

> وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التي سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم، حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا عالمين مشيئات الجسد والأفكار، وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً (أفسس ٢:١-٣).

رسم بولس صورة قبيحة لحالة الإنسان قبل المسيح. هذه الآيات تصور الحالة مفزعة للغاية إلى حد لا يتغلب عليها إلا قوة الله. نرى على الأقل خمسة إثباتات:

١. كنا أمواتاً (آية ١). تلك العبارة تلخص حالتنا. لم نكن على وشك الموت فقط أو

مجروحين بقسوة أو مرضى يائسين، بل كنا أمواتاً في الله إذ لم تكن هناك حياة في أرواحنا. انه من الأساة أن لا يدرك الشخص الضال كيف انه ميت حقاً. لم يصر صديقي بوب مسيحياً حتى بلغ الثلاثين من العمر. قال لي ذات مرة: «في ذلك الوقت، لم أكن أعتقد بانني كنت فاقداً لشيء. حياتي لم تبدو خالية أبداً.» قد يوصف كثيرين منا ببوب. كانت هناك أيام وشهور وسنين عندما كان البعض منا يظن باننا كنا أحياء ونعمل كما نشاء، يمر البعض منا بالـ «درب السريع» للحياة. خلال ذلك الوقت لم تكن لدينا أية فكرة كيف كنا أمواتاً بدون أي شك في مركز وجوديتنا.

٢. كنا نسلك حسب العالم (الآية ٢). توجد الكلمة «عالم» ١٨٦ مرة في العهد الجديد باللغة اليونانية، وفي الواقع في كل مرة تقريباً توجد لها صلة بالشر. الـ «عالم» هو ذلك الجزء من الخليقة الخارج كلياً عن مشيئة الله. انها وجهة نظر العالم التي رفضت ان تأخذ الله بجدية. وجهة نظر العالم هذه تسود اليوم. انهم يمجدون التمتع بالحاضر. الأشياء الأكثر أهمية في الحياة للناس الذين هم بهذه العقلية هي ممارسة الجنس، والأكل، والشرب، والراحة، والملبس، والمال، والاستمتاع. وجهة النظر الدنيوية للعالم تهيمن على غلافات الكتب الأكثر رواجاً. تظهر نفسها في الفن الحديث وفي عروض التلفاز وفي الأفلام التي يتدفق إليها الناس، وجهة النظر الدنيوية تجعل الاخلاق نسبية {أي أن الحقائق الاخلاقية تتفاوت تبعاً للفرد والزمان والظروف}. الصحيح والخطأ يخضعان إلى الخيار الشخصي.

٣. كانت القوات الشريرة تسيطر علينا. الآية ٢ تقول اننا لم نسلك حسب العالم فقط، بل أيضاً «حسب رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية.» الإبليس هو «رئيس هذا العالم» (يوحنا ١٢:٣١) و «رئيس الشياطين» (متى ٩:٣٤) و «إله هذا الدهر» الذي «قد أعمى أذهان غير المؤمنيين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله» (٢ كو ٤:٤). الإبليس يقوم بتمرد شخصي ضد الله. قبل المسيح، كنا بعلم أو بغير علم معرضين لنفوذ الشيطان الشرير. كنا نشارك في طول الموجة مع إبليس نفسه. كان له خط موجي مباشر وخالي من التشويش إلى عقولنا.

٤. كنا نعيش لنشبع شهوات الجسد (آية ٣). الكلمة «جسد» هي مترجمة من الكلمة اليونانية ساركس. تشير هذه إلى الإنسانية الأثيمة. انها النزعة التي نعمل على تطويرها لكي نفعل ما نريد بدون ندامة في معارضة الله.

٥. كنا مدانين (الآية ٣). قال بولس باننا كنا «بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضا.» قداسة الله تتطلب غضب إلهي ضد الخطية. الله يبغض الخطية عندما تظهر في أي وقت وفي أي مكان وفي أي شخص. الكلمة اليونانية للـ «غضب» هي «أورج» تعني «رد الفعل القوي والمستمر لله القدوس ضد الشر في أي شكل وصورة» (مقتبس من جون ماكارثر).

أعطى بولس وصفة حية للحياة بدون المسيح. كنا أمواتاً، وكنا نسلك حسب العالم، وكانت القوات الشريرة تسيطر علينا، وكانت شهوات الجسد تلتهمنا، وكنا مدانين أمام الله.

قد يقول أحدنا: «انتظر لحظة! ماذا عن الذين يعيشون حياة لائقة؟ انهم ليسوا مجرمين، انهم جيران صالحين، انهم لا يجعلون من الحياة فوضى عامة. كيف ينطبق عليهم هذا الوصف؟» أحب الطريقة الذي أوضح بها جون ماكارثر ذلك:

> كل الناس خطاة من غير الله، هذا لا يعني ان الناس جميعهم في مستوى واحد من الفساد والشر. عشرون جثة في ميدان القتال قد تختلف في مراحل التعفن ولكن كلها متماثلة في الموت. يظهر الموت ذاته في أشكال كثيرة ودرجات مختلفة، ولكن الموت نفسه ليس له درجات. الخطية تظهر ذاتها في أشكال كثيرة ودرجات مختلفة، ولكن حالة الخطية نفسها ليست لها درجات. ليس كل الناس شريرون إلى أصى حد، ولكن أخفق الكل في الوصول إلى مقياس الله الكامل.

لنقدر هذه الحقيقة الآن بمفهوم فكرتين قابلتين للتطبيق.

أولا: الادراك بالحاجة إلى الخلاص له صلة مباشرة بالمفهوم الذي يعنيه أن تكون ضالاً. ليس لك رجاء وأنت بعيد عن قوة الله، وقوة الله تظهر ذاتها فقط في إنجيل المسيح. إن كنت بدون المسيح، يوجد وصف الله لحياتك في أفسس ٢:١-٣. قد تظن بانك حي، ولكن بالنسبة لله أنت ميت، وتظن بانك لا تريد الله حتى وقت لاحق في الحياة. البعض منكم مشغولين جدا بالمهنة وبالجهد تفكرون عن الله. البعض منكم عاشوا حياة طويلة حتى قاموا بتطوير طبع الحياة بدون الله. أنظر إلى الكتاب المقدس، وأنظر إلى هذا النص، فانه مرآة، تبين من أنت بدون الله، حتى ترى كم أنت في حاجة إليه.

ثانيا: شدة التسبيح إلى الله لها علاقة مباشرة مع مفهومنا بما كنا بدونه، وثم لا تفهم ما قدمه الله من أجلك. لا ينبغي علينا أن نتثائب خلال ترنيمة التسبيح أو نفقد الفرصة لنسجد ونعبد الرب. يجب علينا أن نبتهج وننتعش ونتحمس للرب. لا يمكن أن نغني: « هاللويا سبحوا الله » بطريقة غير مخلصة إن كنا نفهم من كنا سابقا وما الفرق الذي جعله الله في حياتنا. كيف نغني « اني مقتني » بدون شيء من الحماسة والفرح؟ كلما فهمنا كيف كانت حالتنا سيئة بدون الله، كلما نمجده للفرق الذي جعله في حياتنا.

نعرف حالة الخطاة بدون قوة الله من وصف الله نفسه في أفسس ٢:١-٣.

يظهر الله التغيير في الخطاة كنتيجة لقوة الله

بعد اظهار حالة الخطاة، شرح بولس ما قد فعله الله ليغير تلك الحالة:

> الله الذي هو غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح. بالنعمة أنتم مخلصون. وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع. ليظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع (أفسس ٢:٤-٧).

يتوقف الخبر السار على العبارة « الله... من أجل محبته الكثيرة. » انها تذكرنا بحالتنا وفشلنا وخطايانا، وتمردنا وضلالنا. وهذه العبارة أيضاً تقدم تباين مروع. ضد الخلفية المرضية للفشل الروحي هناك يظهر الله الذي هو « غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها. »

لاحظ ما عمله بهذه الأفعال والأعمال التي توصف:

١. « أحيانا مع المسيح. » المسيحي غير منفصل عن الله بعد. وانه غير ميت بعد. يسوع هو الطريق والحق والحياة (يوحنا ١٤:٦). لا يهلك كل من يؤمن بيسوع بل تكون له الحياة الأبدية (يوحنا ٣:١٦).

٢. « أقامنا معه {أي مع المسيح} ». متى تحدث هذه القيامة بالنسبة للشخص؟ كتب بولس ما يلي:

> أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته؟ فدفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة. لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته (رومية ٦:٣-٥).

عندما تعلم بانك ضال، وتسمع بان يسوع مات بسبب خطاياك ووضعت ثقتك في كلماته ووعوده، واعتمدت لمغفرة الخطايا، فأنت مقام مع المسيح. أنت غير ميت في خطاياك فيما بعد. أنت حي في المسيح.

٣. « أجلسنا معه. » نحن مع المسيح في السماويات. أي بعبارة أخرى، قد دخلنا موطناً جديداً. العالم خارج العلاقة مع الله ليس موطننا. نحن نعيش في بيئة جديدة. نعيش في البيئة التي خلقنا الله لها. جاء يسوع إلى العالم لكي يجعل هذا ممكناً. انه تحدث مراراً عن موطننا أو بيئتنا الجديدة بصيغة الـ « ملكوت »:

> « مملكتي ليست من هذا العالم... » (يوحنا ١٨: ٣٦).

« ...أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت » (لوقا ١٢:٣٢).

(من صفحة ٢٧)

« وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً،

لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي... » (لوقا ٢٢:٢٩ و ٣٠).

« إن كان أحد لا يولد من فوق، لا يقدر أن يرى ملكوت الله » (يوحنا ٣:٣).

المسيحيون يجلسون مع المسيح في السماويات.

الفعل الذي اختاره بولس يكشف عن ما عمله الله. ان الله قد « أحيانا مع المسيح »، و « أقامنا » مع المسيح و « أجلسنا » مع المسيح. استمر بولس ليخبرنا لماذا عمل الله كل هذا. لماذا أحيانا عندما كنا نستحق أن نُبعد عن الله إلى الأبد؟

تذهب الإجابة إلى ما وراء خلاصنا، إلى ما وراء حريتنا، إلى ما وراء احياءنا، وإلى ما وراء شركتنا مع الله – ووراء كل هذا. قال بولس: « ليظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع » (أفسس ٢:٧).

حاول أن تدرك ما تؤكده هذه الآيات. قد أتى بنا الله من الموت إلى حياة في المسيح لكي يستطيع أن يظهر فينا لكل الخليقة مدى نعمته. بدأ هذا مع المسيحيين الأوائل في أورشليم واستمر مع أولئك الذين في انطاكية وأفسس وكورنثوس وروما. ووصل إلى المسيحيين في القرن الثاني وما بعده، إلى كل الذين نادوا باسم المسيح. خلال العصور، وفر الله لكل الخليقة عرضاً مستمراً لمحبته ونعمته. إن كنت تنتسب للمسيح، فأنت جزء من الشهادة الكبرى لنعمة الله العظيمة.

عندما تأتي العصور الأبدية، نستمر نتعجب ونمجد الله في ما فعله ليجعلنا أحياء في المسيح. حقاً سيشارك كل جند الجيش السماوي في ذلك التسبيح لله إلى أبد الأبدين.

الخلاصة

لنختتم هذا الدرس بثلاثة أسئلة. قد تجيب عليها بنفسك. إن كنت بحاجة أن تغير شيء في حياتك عند إجابتك، فأفعل ذلك حالاً.

هل أنت ميتاً روحياً أم حي؟ هل تتصرف كمن هو شاكراً حقاً لله لأنه أتى بك من الموت إلى الحياة؟ هل يمكن لأخرين أن ينظروا إلى حياتك ويروا تغيراً واضحاً الذي صنعه الله فيها؟

كيف أجبت على هذه الإسئلة؟ ما التغيرات التي تريد أن تجريها؟ يوجد لله القوة ليعمل تغيير في حياتك. اسمح له أن يقوم بذلك. ❖

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧